تَنْزِيهُ الأَنْبِيَاءِ دَلَالِيّاً
(النبيُّ يُوسُفُ عليه السلام مَثَلاً)

د. ظافر الجياشي
جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)
محافظة المثنى - العراق

اختلف الناس في عصمة الأنبياء عليهم السلام بين منزّه وغيره، فقالت الشيعة الإمامية، لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيراً كان أو صغيراً، لا قبل النبوة ولا بعدها، وجوز أصحاب الحديث، والحشوية على الأنبياء الكبائر قبل النبوة، ومنهم من جوزها في حال النبوة سوى الكذب فيما يتعلق بأداء الشريعة، ومنهم من جوزها كذلك في حال النبوة بشرط الاستسرار دون الإعلان، وقيل غير ذلك.

بيد أن ما يهمنا –هنا– التركيز على تنزيه النبي يوسف عليه السلام عن ارتكاب المعصية دلالياً، من دون الخوض في المسائل العقدية والحديثية؛ لأنّها خارجة عن البحث مستنطقين آيات القران الكريم، ومعتمدين الدلالات اللغوية، والنحوية، والسياقية، والقرائن الأخر المستصحبة للنصوص القرآنية، إذ سنقف عليها ونحللها دلالياً للكشف عن نزاهة النبي يوسف عليه السلام.

فوى البحث

اختلف الناس في عصمة الأنبياء عليهم السلام بين منزّه وغيره، فقالت الشيعة الإمامية، لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيراً كان أم صغيراً، لا قبل النبوة ولا بعدها، وجوّز أصحاب الحديث والحشوية على الأنبياء الكبائر قبل النبوة، ومنهم من جوّزها في حال النبوة سوى الكذب فيما يتعلق بأداء الشريعة، ومنهم من جوّزها كذلك في حال النبوة بشرط الاستسرار دون الإعلان، وقيل غير ذلك[1].

بيد أنّ ما يهمنا -هنا- التركيز على تنزيه النبي يوسف عليه السلام عن ارتكاب المعصية دلالياً، من دون الخوض في المسائل العقدية والحديثية، لأنها خارجة عن البحث مستنطقين آيات القرآن الكريم.

إنّ بعض مقاطع قصة النبي يوسف عليه السلام على ما تحكيه بعض الآيات القرآنية يمكن أن تظهر فيه بعض نقاط الضعف، ومن أهم تلك الآيات التي سنقف عليها ونحللها دلالياً قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٢٤].

فإنّ هذا النصّ يوحي لأوّل وهلة بأن الهمّ السيئ قد وقع من يوسف باتجاه امرأة العزيز؛ غير أنّ التدقيق، والنظر، وإجالة الفكر تثبت عكس ذلك من خلال:

أوّلاً: الدلالة المعجمية:

هي دلالة الكلمة التي استعملها المجتمع مفردة كانت، أم في تركيب سواء أ كان المعنى حقيقياً في أصل الوضع أم مجازياً منقولاً عن حقيقي، فإذا لم يعرف مستعملها المعنى الذي وضعت له لم تفد شيئاً فالمعنى المعجمي (يجمع بين المعنى الحقيقي الذي وضع اللفظ في الأصل والمعاني السياقية التي قد تقع مترادفات، أو أضداداً، أو مختلفة لا صلة بينها)[2].

(١) ينظر: الهداية/ الشيخ الصدوق: ٢٥، وأوائل المقالات/ الشيخ المفيد: ٦٢، وكتاب المواقف/ الإيجي: ٣/ ٤١٥.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة/ د. محمود عكاشة: ١٦٤.

وهذا عين ما حصل في (همّ بها) في الآية الكريمة؛ لذا سنعرض الوجوه التي ذكرت الهمّ في اللغة ثمّ نختار المعنى الذي يناسب المقام الذي تمليه علينا الآية الشريفة في تحديد المعنى، والمعاني التي ذكرت للهمّ هي:

١. خطور الشيء بالبال وهو الأصل، قال الخليل: (الهمّ ما هممت به في نفسك)[٣].

٢. الذوبان والجريان فـ(الهاء والميم أصل صحيح يدلّ على ذوبان وجريان ودبيب وما أشبه ذلك ثمّ يقاس عليه منه قول العرب: همّني الشيء: أذابني)[٤].

٣. الحَزَنُ والقلق قال الجوهري: (الهمّ الحزن والجمع الهمّوم، وأهمك الأمر إذا أقلقك وحزنك، ويقال: همّكَ ما أهمّك)[٥].

٤. المقاربة، يقولون: همّ بكذا وكذا أي كاد يفعله[٦]، قال ذو الرمة[٧]:

أقول لمسعود بجرعاء مالك وقد همّ دمعي أن تسح أوائله.

فالدمع لا يجوّز عليه العزم وإنّما أراد كاد، أو قرب.

٥. الشهوة وميل الطبع، إذ يقول القائل فيما يشتهيه، ويميل طبعه إليه: هذا أهمّ الأشياء إليَّ[٨].

٦. العزم على الفعل، ومن قولهم همّمت بالشيء أهمّ همّاً: أردته وقصدته[٩] ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [سورة المائدة: ١١] أي أرادوا ذلك وعزموا عليه.

وممّا تقدم ظهر أنّ للهمّ معان عدّة مختلفة، فلابد أن نسال عن المعنى المراد من الهمّ في الآية المباركة، بماذا همّ

(٣) كتاب العين/ الخليل الفراهيدي: ٣/ ٣٥٧، وينظر: المفردات في غريب القرآن/ الأصفهاني: ٥٤٥.
(٤) معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس: ٦/ ١٣.
(٥) تاج اللغة وصحاح العربية/ الجوهري: ٥: ٢٠٦١.
(٦) ينظر: الفروق اللغوية/ أبو هلال العسكري: ٣٥٧.
(٧) ينظر: ديوان: ٤٦٦.
(٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن/ الشيخ الطوسي: ٦/ ١٢١.
(٩) ينظر: مجمع البحرين/ الطريحي: ٤/ ٤٣٦.

يوسف، وبماذا همّت امرأة العزيز؟.

أمّا همّ امرأة العزيز فكان العزم على فعل المعصية من القبيح، وتهيئة مقدماته التي نصّت عليها القصة من المراودة، وتغليق الأبواب ثمّ أمرها له بقولها: هيت لك، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[سورة يوسف: ٢٣].

وأمّا همّ يوسف عليه السلام فلا يمكن أن يراد منه الهمّ على فعل المعصية، وارتكاب الفاحشة، كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين قال الواحدي: (قال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع إلى روايتهم الآخذون للتأويل عمّن شاهد التنزيل: همّ يوسف عليه السلام أيضاً بهذه المرأة هماً صحيحاً وجلس منها مجلس الرجل من المرأة فلما رأى البرهان من ربه زال كلّ شهوة عنه)[١٠]. وهذا القول لا يمكن قبوله؛ لأنّه يتعارض مع قوله تعالى﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ الوارد في سياق القصة، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [سورة يوسف: ٣٢].

وما دامت وجوه هذه اللفظة مختلفة ومتسعة في معانيها فننفي عن نبي الله ما لا يليق به من القبيح، والأبحاث الدلالية القادمة تثبت ذلك، ثمّ كيف ينسجم الفهم المذكور مع قوله تعالى في بداية السورة: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [سورة يوسف: ٣]. لأنّنا لا يمكن أن نجتزئ بعض الآيات دون بعض، بل نأخذ بالسياق كاملاً؛ لأنّ السورة بصدد بيان قصة إنسان كان عبرة لأولي الألباب، والذي نميل إليه أن الهمّ لم يقع من يوسف قط.

ثانياً: الدلالة النحوية:

إذا كان النحو يقوم ببحث العلاقات التي تربط الكلمات في الجملة الواحدة،

(١٠) التفسير البسيط/ الواحدي: ١٢/ ٧٢، وينظر: معالم التنزيل وحقائق التأويل/ البغوي: ٢/ ٤١٨، و الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي: ٩/ ١٦٦، و تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير: ٤/ ٣٨١.

وبيان وظائفها فهو الوسيلة لتفسير تعقيدات التركيب اللغوي، والدلالة هي التي تبرز الاختلاف بين التراكيب المختلفة[١١]. إذن النحو، والدلالة يتعاونان على توضيح النصّ وتفسيره.

وإذا عدنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ نجد أنّ للأداة (لولا) معانٍ عدة[١٢]، من معانيها الواردة في الآية الشريفة حرف امتناع لوجود، إذ عرّفها المبرد بقوله: (حرف يوجب امتناع الفعل لوقوع الاسم، تقول: لولا زيد لكان كذا وكذا فقوله: لكان كذا وكذا، إنّما هو لشيءٍ لم يكن من أجل ما قبله)[١٣]. فـ(لولا) أداة تدخل على جملتين (احداهما مبتدأ وخبر، والأخرى فعل وفاعل فتُعلِّق احداهما بالأخرى وتربطها كما يدخل حرف الشرط على جملتين)[١٤].

و(لولا) في قوله سبحانه: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ابتدائية فلا تدخل إلاّ على المبتدأ قال ابن مالك[١٥]:

لولا ولوما يلزمان الابتدا
إذ امتناعاً بوجود عقدا.

وهذه الأداة -الابتدائية- تحتاج إلى جواب وغالب ما يكون جوابها محذوفاً؛ لكثرة استعمالهم إياه في الكلام لدلالة القرينة عليه، أو فهمه من السياق، كقوله سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة النور: ١٠]. أي ولولا فضل الله ورحمته عليكم لهلكتم، وربّما يحذف الجواب لدلالة الجملة المتقدمة عليه كقوله: قد كنت هلكت لولا أن تداركتك، والمعنى لولا تداركي لهلكت[١٦]. ويرى ابن الشجري[١٧] أنّ خبر المبتدأ بعد لولا

(١١) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ١٢٣.
(١٢) ينظر: الازهية في علم الحروف/ الهروي: ١٦٦ ١٧٢، ورصف المباني في شرح حروف المعاني/ المالقي: ١٩٢ -١٩٧.
(١٣) المقتضب/ المبرد: ٣/ ٧٦، والأصول في النحو/ ابن السراج: ٢/ ٢١١.
(١٤) شرح المفصل/ ابن يعيش: ١/ ٩٥.
(١٥) شرح ابن عقيل: ٤/ ٥٥.
(١٦) ينظر: الكتاب/ سيبويه: ٢/ ١٢٩، وهمع الهوامع/ السيوطي: ٢/ ٤٧٦، وحاشية الصبان/ ٤/ ٥٠.
(١٧) أمالي ابن الشجري: ٢/ ٥١٠.

قد ظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة النساء: ٨٣]. وإذا رجعنا إلى الآية الكريمة -موضوع البحث -نجد اختلاف العلماء في جواب (لولا) على فريقين:

الأول: يرى أنّ جواب لولا محذوف، واختلف القائلون بهذا الرأي في تقدير جواب لولا على قسمين:

القسم الأول: يرى جواز نسبة الخطأ على يوسف عليه السلام -لتفسيره الهمّ بالعزم على ارتكاب المعصية -قال الزركشي: (وقوله ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه أي همت بمخالطته وجواب لولا محذوف أي لولا أن رأى برهان ربه لخالطها)[١٨].

والأخر: ينزه يوسف عليه السلام عن الخطأ ويمنع من كون يوسف قد وقع فيه قال أبو حيان: (الذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة... وإنّ جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدلّ قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان مُوجِداً الهمّ على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنّه وجد رؤية البرهان فانتفي الهمّ)[١٩].

القسم الأخر: يرى أنّ جواب لولا متقدم عليها، قال أبو مسلم الأصفهاني: (يحمل الكلام على التقديم والتأخير، ويكون التقدير: ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ولمّا رأى برهان ربه لم يهم بها، ويجري ذلك مجرى قولهم: قد كنت هلكت لولا أني تداركتك، وقد كنت قلت لولا أني خلصتك، والمعنى لولا تداركي لهلكت، ولولا تخليصي إياك لقلت وإن

(١٨) البرهان: ٣/ ١٨٥، و إرشاد العقل السليم/ أبي السعود: ٤/ ٢٥٦، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم/ الالوسي: ١٣/ ٢١٣، وأضواء البيان/ الشنقيطي: ٢/ ٢١٢.

(١٩) تفسير البحر المحيط/ أبي حيان الأندلسي: ٥/ ٢٩٥، ينظر: نظم الدرر/ البقاعي: ١٠/ ٦٣.

لم يقع هلاك وقتل)[٢٠].

والذي يميل إليه الباحث بعد إنعام النظر في الآية الكريمة أنّها تؤول إلى جملتين: إحداهما مطلقة، والأخرى مقيّدة(مشروطة).

أمّا المطلقة فهي قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾، وهو يدلّ على تحقّق الهمّ من عزيزة مصر بلا تردد. وأمّا المقيّدة فهي قوله﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ وتقديره: لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها، فيدلّ على عدم تحقق الهمّ منه لمّا رأى برهان ربّه، فالقضية الشرطية لا تدلّ على وقوع الطرفين خصوصاً مع كلمة (لولا) الدالة على عدم وقوعها؛ فضلاً عن ذلك أنّ خبرها متقدم عليها غير محذوف، إذ الأصل أن لا يكون محذوفاً فالجواب إنّما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدلّ على تعينه أمّا في الآية فيوجد إضمارات يحسن إضمار كل واحد منها[٢١].

ورفض الزجاج تقديم جواب (لولا) على شرطها وعدّه شاذاً غير موجود في الكلام الفصيح، ولو كان الجواب (همّ بها) مقدماً لوجب اقتران جوابها باللام؛ لأنّه مثبت[٢٢].

ونرى أن كلام الزجاج على إطلاقه مجانب للصواب؛ لأنّ (أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ)، وأبو العباس المبرد(ت٢٨٥هـ))[٢٣]. ثمّ إنّ للآية الكريمة نظائر من حيث تقديم الخبر كقوله تعالى: ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة القصص: ١٠].

(٢٠) تفسير أبي مسلم الاصفهاني: ١٥٦، وينظر التفسير الكبير/ الرازي: ١٨/ ١٧٧، والدر المصون/ السمين الحلبي: ٦/ ٤٦٦، فتح القدير/ الشوكاني: ٣/ ١٧.

(٢١) ينظر: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني: ١٤٣.

(٢٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه/ الزجاج: ٣/ ١٠١-١٠٢.

(٢٣) تفسير البحر المحيط: ٥/ ٢٩٥، ينظر: المقتضب: ٢/ ٦٦، وشرح الكافية/ الرضي الاستراباذي: ٤/ ٩٥، واعتراض الشرط على الشرط: ابن هشام الأنصاري: ٤.

فقوله: (إن كادت لتبدي) جواب لولا، أضف إلى ذلك ما روي عن أبي عبيدة أنّه سُئل عن قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ فأجاب: هذا على التقديم والتأخير؛ أي تقديم الجواب وتأخير الشرط، كأنّه قال: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها [٢٤].

ثم إنّ الجملة الشرطية: (وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) معطوفة على جملة: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) كلها؛ لأنه لما أردفت جملة (وهمّ بها) بجملة شرط(لولا) المتمحض لكونه من أحوال يوسف عليه السلام وحْده لا من أحوال امرأة العزيز، فتعين أنه لا علاقة بين الجملتين، فالتقدير: ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمّ بها، فقدم الجواب على شرطه للاهتمام به وبذلك يظهر أن يوسف عليه السلام لم يخالطه همّ بامرأة العزيز؛ لأنّ الله عصمه من الهمّ بالمعصية بما أراه من البرهان[٢٥]. فكان الأمر في تقديم الخبر مرتبطا بشدة الاهتمام؛ لأنّ العرب إنّما تقدم الأهم فألاهم والذي هم شأنه أعنى. قال سيبويه: (إنّما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى)[٢٦].

وكثيراً ما يتقدم الجواب على الشرط، كقول الشاعر[٢٧]:

ولا يَدْعُني قومي صَريخا لِحُرةٍ
لئن كنتُ مقتولا ويسلمُ عامرُ

فقدّم جواب لئن على شرطها.

أمّا وجوب اقتران جواب لولا المثبت باللام فغير لازم؛ لأنه متى كان جواب لولا مثبتا جاز فيه الأمران اللام وعدمها[٢٨]، وان كان الإتيان باللام هو الأكثر[٢٩].

ثالثاً: الدلالة السياقية:

يلعب السياق دوراً بارزاً في جلاء

(٢٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن/ ٩/ ١٦٦.
(٢٥) التحرير والتنوير/ الطاهر بن عاشور: ١٢/ ٢٥٣.
(٢٦) الكتاب: ١/ ٣٤.
(٢٧) قيس بن زهير بن جذيمة، ينظر: الكتاب: ٣/ ٤٦، وتنزيه الأنبياء: الشريف المرتضى: ٨٠، وباهر البرهان/ محمود النيسابوري: ٢/ ٧٠٠.
(٢٨) ينظر: المقرب/ ابن عصفور: ١/ ٩٠، وارتشاف الضرب/ أبي حيان: ٤/ ١٩٠٥.
(٢٩) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم/ محمد عبد الخالق عظيمة: ٢/ ٥٧٢.

المعنى والنظرية السياقية تحاول تفسير الألفاظ اعتماداً على السياق الذي ترد فيه إذ تتعدد الدلالات بتعدد السياقات، والسياق هو الذي يخلص الكلمات من المعاني المتراكمة في ذهن الإنسان وهذه من أهمّ مهامه وهو يكسب اللفظ دلالته عند التطبيق الذي لا يلتبس بمعنى آخر في الإدراك(٣٠).

وهذا ما نصبو إليه لنجلو الغبار عمّا نسبه المخطِّئةُ للنبي يوسف عليه السلام بتفسيرهم للهم بالعزم على المعصية، ولا نذهب بعيداً، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، ويأخذ بعضه برقاب بعض، وإن المتأمل في قصة يوسف عليه السلام يجد أن كل من كان له تعلق بالقصة قد شهد ببراءته من المعصية والهمّ بارتكاب المحارم وشهادة الله له بذلك واعتراف إبليس به.

أمّا الذين لهم تعلق بتلك الواقعة فهم: يوسف، والمرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود.

أمّا جزم يوسف بأنه بريء من تلك المعصية فذكره تعالى في قوله: ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي ﴾[سورة يوسف: ٢٦]، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾[سورة يوسف: ٣٣].

وأمّا اعتراف المرأة بذلك ففي قولها للنسوة: ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ ﴾ [سورة يوسف: ٣٢]، وقولها: ﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٥١].

وأما اعتراف زوج المرأة ففي قوله: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴾ [سورة يوسف: ٢٨ -٢٩].

وأمّا اعتراف الشهود بذلك ففي قوله: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٢٦ -٢٧].

وأمّا شهادة الله جلّ وعلا ببراءته ففي قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ

(٣٠) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين/ د. عواطف كنوش: ٢٢٦ -٢٢٧.

عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[سورة يوسف: ٢٤]، لقد شهد الله تعالى في هذه الآية الكريمة على طهارته أربع مرات:

أولها: ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ واللام للتأكيد، والمبالغة.

والثاني قوله: ﴿ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ أي وكذلك لنصرف عنه الفحشاء.

والثالث قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ مع أنّه تعالى قال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].

والرابع قوله: ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وفيه قراءتان: قراءة باسم الفاعل، وأخرى باسم المفعول[٣١]، وعلى كلا الوجهين: فإنّه من أدلّ الألفاظ على كونه منزهاً عمّا أضافوه إليه)[٣٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٢٤]. التفاتة رائعة وهي قوله: ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ إذ قال لنصرف عنه ولم يقل (لنصرف منه)؛ لأنّ بينهما بوناً كبيراً فدلالة (عنه) تعني أنّ السوء والفحشاء أُخذا مصروفين عنه لاهو مصروف عنهما؛ (لِما في الثاني من الدلالة على أنّه كان فيه ما يقتضي اقترافهما المحوج إلى صرفه عن ذلك، وهو ينافي شهادته تعالى بأنه من عباده المخلصين)[٣٣].

وأمّا إقرار إبليس بطهارته ونزاهته ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٣٩ -٤٠]. فأقرّ بأنّه لا يمكنه إغواء المخلصين؛ ولاشكّ أنّ يوسف من المخلصين.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن الأنبياءعليهم السلام متى صدر منهم ما يخالف الأولى فزعوا إلى الله تعالى بالتوبة

(٣١) ينظر: معجم القراءات، د. محمد الخطيب: ٤/ ٢٢٨ -٢٢٩.

(٣٢) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي: ١٢/ ٣٢٩، وينظر: أضواء البيان: ٢/ ٢٠٦.

(٣٣) الميزان في تفسير القرآن/ العلامة الطباطبائي: ١١/ ١٢٩.

والاستغفار وإظهار الندامة، ولو كان يوسف عليه السلام أقدم على فعل المنكر -نعوذ بالله -لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو أتى بذلك لحكى القرآن عنه ذلك كما في سائر المواضع وإذا لم يقع من شيء تبين أنّه لم يصدر منه ذنب ولا معصية كما حكى لنا عن الأنبياء ارتكابهم ذلك كما في قصة آدم عليه السلام: قال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٣]، وقصة النبي يونس عليه السلام حكاها سبحانه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧]، وقصة النبي نوح عليه السلام وابنه: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة هود: ٤٦]، وغيرها ممّا ذكرها القرآن الكريم.

وممّا تقدّم يظهر أن النبي يوسف عليه السلام لم يهم بامرأة العزيز وأنّه منزّه عن ذلك؛ لأنّ شأن عباد الله المخلصين أن يروا برهان ربهم وأنّه سبحانه يصرف كلّ سوء وفحشاء عنهم فلا يقترفون معصية، ولا يهمون بها.

وقبل أن نختم الحديث نرى من المناسب بيان معنى البرهان الذي رآه يوسف، فقد ذكر المفسرون وجوها كثيرة للبرهان لبيان حقيقته إذ فسره بعضهم بما يندى له الجبين تجاه نبي عصمه الله، في حين رأى آخرون البرهان على عكس ماراه الأولون في كلام طويل يطلب من مظانه[٣٤]، لكن ما يمكن أن يقال فيه إنّه الحجة والسبب المفيد لليقين الذي يجر النفس الإنسانية إلى طاعة لا تميل معها إلى معصية، وانقياد لا تصاحبه مخالفة وهو الذي يريه الله لعباده المخلصين.

خاتمة البحث

ظهر للباحث -بما لا يقبل الشك

(٣٤) ينظر: جامع البيان/ الطبري: ١٢/ ٢٤٣-٢٤٤، والكشاف/ الزمخشري: ٢/ ٣١١، وتفسير البغوي: ٢/ ٤١٨، وتفسير الاصفى/ الفيض الكاشاني: ١/ ٥٦١، و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ ناصر مكارم الشيرازي: ٧/ ١٨٣.

-أنّ الهمّ لم يقع من النبي يوسف عليه السلام قطّ من خلال القرائن الدلالية: اللغوية، والنحوية، والسياقية، فاللغوية كشفت النقاب عن معنى(الهمّ) الحقيقي للنبي يوسف عليه السلام، و (همّ) امرأة العزيز؛ لاتساع وجوه هذه اللفظة واختلاف معانيها فنُفي عن نبي الله ما لا يليق به من فعل القبيح.

وعضدت ذلك الدلالةُ السياقية إذ يلعب السياق دوراً بارزاً في جلاء المعنى الذي ترد فيه الألفاظ الحاملة لمعان متعددة تتعدد دلالاتها بتعدد السياقات، والسياق هو الذي يخلص الكلمات من المعاني المتراكمة في ذهن الإنسان، ويكسب اللفظ دلالته عند التطبيق الذي لا يلتبس بمعنى آخر.

وساعدت الدلالة النحوية على توضيح النصّ وتفسيره، فالنحو، والدلالة يتعاونان على ذلك، وظهر بواسطة الأداة (لولا) عدم تحقق الهمّ منه عليه السلام لمّا رأى برهان ربّه، فالقضية الشرطية لا تدلّ على وقوع الطرفين خصوصاً مع كلمة (لولا) الدالة على عدم وقوعهما؛ فضلاً عن ذلك أنّ خبرها في ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)) متقدم عليها غير محذوف، إذ الأصل أن لا يكون محذوفاً، فالجواب إنّما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدلّ على تعينه أمّا في الآية فيوجد إضمارات يحسن إضمار كل واحد منها.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف أبي السعود محمد بن محمد العمادي ت: ٩٥١هـ، ط: ١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
- الازهية في علم الحروف، تأليف علي بن محمد النحوي الهروي، ت: ٤١٥هـ، تحقيق: عبد المعين الملوحي، ط٢ الناشر: مجمع اللغة العربية بدمشق -سورية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- الأصفى في تفسير القرآن الكريم، تأليف المولى محمد محسن الفيض الكاشاني، ت: ١٠٩١هـ، تحقيق:

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي – قم، ١٤١٨هـ –١٣٧٦ ش.

- الأصول في النحو، تأليف أبي بكر محمد بن سهل السراج النحوي، ت: ٣١٦هـ، تحقيق، الدكتور عبد الحسين الفتلي ط٣، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ت: ١٣٩٣هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، ط: ٢، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م.
- اعتراض الشرط على الشرط، تأليف ابن هشام الأنصاري، ت: ٧٦١هـ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحموز، ط: ١، الناشر: دار عمار –الأردن، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- الأمالي الشجرية، تأليف هبة الله بن علي بن حمزة العلوي المشتهر بـ(ابن الشجري)، تحقيق الدكتور محمود الطناحي، ط١، الناشر: مكتبة الخانجي/ مصر(د. ت).
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تأليف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢ م.
- أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، تأليف الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري، البغدادي، ت: ٤١٣هـ، تحقيق إبراهيم الأنصاري الزنجاني، ط: ٢، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت –لبنان، ١٤١٤هـ–١٩٩٣ م
- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تأليف محمد بن أبي الحسن النيسابوري، ت: ٥٥٣، تحقيق سعاد صالح بابقي، ط: ١، الناشر: جامعة أم القرى –مكة المكرمة، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار

الأئمة الأطهار، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، ت: ١١١١ هـ، الناشر مؤسسة الوفاء، بيروت -لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

- البرهان في علوم القرآن، تأليف محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ت: ٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- تاج اللغة وصحاح العربية (المعروف بالصحاح)، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: ٤٠٠هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، ط١، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- التبيان في تفسير القرآن، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي -قم، ١٤٠٩هـ.
- التحرير والتنوير، تأليف محمد الطاهر بن عاشور، ت: ١٣٩٣هـ، ط: ١، الناشر: دار الشرقية -تونس، ١٩٥٦م.
- تفسير البحر المحيط (المعروف بتفسير أبي حيان الأندلسي)، تأليف أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ت: ٧٤٥هـ، تحقيق: عادل أحمد الموجود، والشيخ علي معوض، وآخرون. ط٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- التفسير البسيط، تأليف أبي الحسين علي بن أحمد الواحدي ت: ٤٦٨ هـ، تحقيق الدكتور عبدالله بن إبراهيم الريس، الناشر: جامعة محمد بن سعود، السعودية، ١٤٣٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم، تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: ٧٧٤ هـ، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط: ٢، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م.
- التفسير الكبير، المعروف (تفسير

الرازي)، تأليف الإمام محمد بن فخر الدين الرازي، ت: ٦٠٦هـ، ط٣، دار الفكر، بيروت -لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، تأليف الدكتور محمود عكاشة، ط: ١، الناشر: دار النشر للجامعات، مصر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- تنزيه الأنبياء، تأليف أبي القاسم علي بن الحسين المعروف بـ(الشريف المرتضى)، ت: ٤٣٦هـ، ط: ١، الناشر: انتشارات الشريف الرضي، قم -إيران، ١٣٧٦هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف أبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠هـ، تحقيق: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي العطار، (د. ط)، الناشر: دار الفكر، بيروت -لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٦٥م.
- الجامع لأحكام القرآن، تأليف محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، ت: ٦٧١هـ، حقيق: تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، ط: ١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د. ت).
- الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف الحسن بن أم قاسم المرادي، ت: ٧٤٩هـ، تحقيق: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية بن مالك، تأليف العلامة محمد بن علي الصبان، ت: ١٢٠٦هـ، ط٣ الناشر: انتشارات زاهدي، قم ـ إيران، ١٣٧٧هـ.ش -١٤١٩هـ ق.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف محمد عبد الخالق عضيمة، (د. ط)، الناشر: دار الحديث، مصر ـ القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، تأليف الدكتورة عواطف كنوش مصطفى، ط١، الناشر: دار السياب -لندن، ٢٠٠٧م.

- ديوان شعر ذي الرمة (غيلان بن عقبة)، تحقيق كارليل هنري، ط: ١، الناشر كلية كمبريج، ١٩١٩م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، تأليف أحمد عبد نور المالقي، ت: ٧٠٢هـ، تحقيق: أحمد محمد الخراط، (د. ط)، الناشر: مجمع اللغة العربية بدمشق، (د. ت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف الثناء الالوسي محمود شهاب الدين، ت: ١٢٧٠هـ، ط١ الناشر: دار إحياء التراث -بيروت، (د. ت).
- شرح ابن عقيل، تأليف بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمّداني، ت: ٧٦٩هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الفكر -سوريا، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
- شرح الكافية في النحو، تأليف رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، ت: ٦٨٨هـ، تحقيق: يوسف حسن عمر، ط١، الناشر: مؤسسة الصادقعليه السلام -طهران، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
- شرح المفصل، تأليف موفق الدين بن علي بن يعيش، ت: ٦٤٣هـ، تحقيق: مشيخة من الأزهر، (د. ط)، الناشر: المطبعة المصرية، (د. ت).
- عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، تأليف الشيخ جعفر السبحاني، ط: ٢، الناشر: مؤسسة الإمام الصادقعليه السلام-قم -إيران، ١٤٢٠ هـ.
- الفروق اللغوية: تأليف أبي هلال العسكري، ت: ٣٩٥هـ تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط: ١، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم -إيران، ١٤١٢هـ.
- كتاب العين، تأليف أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: ١٧٥هـ، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، ط٢، الناشر مؤسسة الهجرة -إيران، ١٤٠٩هـ.